الفصل السابع

تحليل البحوث الفينومينولوجية وتقويمها في الميدان التربوي

يتناول هذا الفصل النقاط التالية:

- مفهوم الفينومينولوجيا .
- الفروق بين الفينومينولوجيا وطرق البحث الكيفي الأخرى.
- المبادئ الأساسية الفينومينولوجيا.
- قضايا الصدق والثبات في البحوث الفينومينولوجية.
- أمثلة تحليلة نقدية لدراسات فينومينولوجية.
- تقييم البحوث الفينومينولوجية

مقدمة:

في ضوء الانتقادات المتزايدة لاستخدام طرق البحث الكمي في تناول الظاهرات التربوية ، من حيث فشله في تناول المتغيرات المتعددة والمعقدة التي تنطوي عليها الظواهر التربوية بدأ الباحثون في التفكير في الاعتماد بشكل متزايد على طرق البحث الكيفي بهدف الحصول على وصف أعمق وفهم أفضل للظاهرات التربوية.

ومن بين طرق البحث الكيفي التي زاد التركيز عليها منهج البحث الفينومينولوجي (الظواهري) **phenomenological research** ، وهو منهج يركز على وصف الظاهرة من وجهة نظر الأفراد الذين يعيشون هذه الظاهرة.

مفهوم الفينومينولوجيا :

يعرف " بولجيت " (**Blodgett , 1997**) الفينومينولوجيا بقوله : " هي تصميم بحثي يستخدم لدراسة الخبرة البشرية العميقة ولا يستخدم من أجل تكوين أحكام جديدة أو الوصول لنظريات جديدة ، وهو يلخص الأوصاف المكثفة للخبرة البشرية في موضوعات أساسية يتولد عنها وصفاً مختصراً لهذه الخبرة ".

وفي تعريف آخر " هي الدراسة الوصفية لخبرات الأفراد مع الظاهرة ".ويعرفها " فيرونيسي " (**Veronesi , 1997**) بأنها احد طرائق البحث الكيفي التي تصف خبرات الحياة لدى المشاركين من وجهة نظرهم وبكلماتهم الخاصة ". ويعرف " برادفور " (**Bradford , 1998**) البحث الفينومينولوجي بأنه يدرس تصورات الأفراد عن الظاهرة ويقدم أمثلة مادية لخبراتهم والمعاني التي يكونوها ".

ويقدم كلا من " كرستين "و" جونسون " (**Johnson & Christen , 2004**) مجموعة من العناصر التي تحدد طبيعة الفينومينولوجيا وهي :

1- التساؤل الأساسي في الفينومينولوجيا هو: ما معنى وبنية وجوهر الخبرات المعاشة لدى فرد معين أو مجموعة من الأفراد عن الظاهرة ؟

2- يحاول البحث أن يصل إلى عالم الحياة لدى الأفراد.

3- إن تنفيذ المقابلات المتعمقة هو الطريقة الشائعة للوصول إلى عالم الحياة لدى الأفراد.

4- يحدد الباحث العناصر المشتركة بين خبرات مجموعة الأفراد أو ما يعرف بجوهر هذه الخبرات [ولهذا فغالبا ما تركز الفينومينولوجيا على مجموعة من الأفراد وليس دراسة حالة فردية واحدة فقط].

ومن هذه التعريفات يمكن الوصول للتعريف الإجرائي التالي :

1. هي نوع أو طريقة منهجية فرعية من طرق البحث الكيفي ينطبق عليها المبادئ العامة للبحوث الكيفية.
2. تركز على دراسة خبرات الأفراد مع الظاهرة كما يعيشونها ووفقا لآرائهم.
3. ولهذا فهي تعتمد بشكل أساسي على المقابلات الفردية مع المبحوثين.
4. تركز الفينومينولوجيا في المقام الأول على التفسير.
5. ترى الفينومينولوجيا أن هناك عناصر مشتركة بين خبرات الأفراد يتعين على الباحث أن يقوم بتحديدها من خلال بحثه.

الفروق بين الفينومينولوجيا وطرق البحث الكيفي الأخرى :

تتفق مداخل البحث الكيفي الأساسية فيما بينها على الكثير من العناصر الأساسية وهو ما يطرح تساؤل مهم تتعين الإجابة عنه قبل الانتقال لمناقشة خطوات الفينومينولوجيا ، وهذا التساؤل ينص على: ما الفروق بين الفينومينولوجيا وطرق البحث الكيفي الأخرى ؟

وللإجابة عن هذا السؤال يقدم "كرستين" و"جونسون " Johnson & (Christen , 2004) مقارنة بين الطرق الأساسية للبحث الكيفي نعرضها في الجدول التالي :

(جدول 7-1) مقارنة بين الطرق الأساسية للبحث الكيفي

البعد	الفينومينولوجيا	الإثنوجرافيا	دراسة الحالة	النظرية المتأسسة
غرض البحث	وصف خبرات فرد أو كثر مع ظاهرة معينة	وصف الخصائص الثقافية لمجموعة من الأفراد	وصف حالة أو أكثر بشكل متعمق بما يجيب عن أسئلة وقضايا البحث	تكوين نظرية بصورة استقرائية تصف وتشرح ظاهرة معينة.
الجذور	الفلسفة	الانثروبولوجي	جذور متعددة التخصصات تتضمن التجارة و القانون والعلوم الاجتماعية والتربية.	علم الاجتماع
أدوات جمع البيانات الأساسية	الاعتماد على المقابلات المتعمقة مع عينة تتراوح ما بين 10-15 فرد.	الملاحظة بالمشاركة عبر فترة طويلة من الزمن [قد تصل إلى عام] والمقابلات مع المفحوصين.	يتم استخدام طرق متعددة مثل الملاحظة والمقابلة والوثائق	المقابلات مع عينة قوامها من 20-30 ويتم استخدام الملاحظة أيضا بصورة متكررة.

تحليل البيانات	تحديد العبارات الأكثر أهمية وتحديد معاني العبارات وتحديد جوهر الظاهرة.	الوصف الشمولي والبحث عن الموضوعات الثقافية في البيانات.	الوصف الشمولي والبحث عن الموضوعات التي تلقي الضوء على الحالة. ويمكن استخدام التحليل عبر الحالات.	البدء بالوصف الأولي ثم الوصف المحوري وينتهي بالوصف الاختياري
كتابة التقرير	الوصف الثري للعناصر المشتركة بين خبرات المشاركين أو جوهر هذه الخبرات.	الوصف الثري للسياق والموضوعات الثقافية.	الوصف الثري للسياق ولأفعال الحالة أو الحالات ومناقشة القضايا والموضوعات والمضامين.	وصف الموضوع والأفراد قيد الدراسة. وينتهي تقرير الدراسة بعرض النظرية التي تأسست من خلال البحث.

المبادئ الأساسية للفينومينولوجيا :

تفترض الفينومينولوجيا ما يلي : (Bradford , 1998)

1. أن واقع كل فرد هو نتيجة التفسيرات والمعاني التي يعطيها الفرد للأحداث.
2. أن لكل خبرة توجد عناصر مشتركة يشترك فيها الأفراد.
3. وكنتيجة لذلك يكون دور الباحث هو محاولة فهم معنى الأحداث من وجهة نظر المشاركين والسعي لاكتشاف جوهر الظاهرة الذي يشترك فيه مجموعة من الأفراد عن طريق تحديد العناصر المشتركة بين خبرات الأفراد. ويمكن عندئذ ربط النتائج التي يتم الحصول عليها من الدراسة الفينومينولوجية مع نتائج الدراسات الفينومينولوجية الأخرى التي تتعامل مع نفس الخبرات أو الظاهرة.

وبالإضافة لذلك يمكن إضافة المبادئ التالية :

4. يجب ألا يقوم الباحث باختبار فروض خلال دراسته.
5. على الباحث ألا يستخدم نموذج نظري لتحديد أسئلة البحث.
6. يجب على الباحث ألا يزعم بأن نتائج الدراسة الفينومينولوجية قابلة للتنبؤ أو التكرار.

تحديد مشكلة البحث :

بصورة عامة يبدأ البحث الجيد بانتقاء الموضوع أو المشكلة محل الاهتمام والصيغة المناسبة له. **(Groenewald , 2004)** وإذا ما تناولنا الصيغة البحثية **research paradigm** على أنها " مجموعة أساسية من المعتقدات والمبادئ العامة التي توجه الباحث في إجراء البحث " وهي نظرية الباحث في المعرفة والتي تساعد في تحديد كيف ستتم دارسة الظاهرة الاجتماعية.

وفي حالة الدراسات الفينومينولوجية تكون الصيغة البحثية هي الفينومينولوجيا، وبالتالي فإن الباحث الذي يختار هذه الصيغة يجب أن يكون ملما بأهم الافتراضات والمبادئ لها ويجب أن تكون مشكلة البحث متلائمة مع هذه الافتراضات والمبادئ. ويتعين على الباحث أيضا أن يوضح مسوغات اختيار هذه الصيغة وكيف تناسب مشكلة البحث معها.

وكما سبق ، فإن التساؤل الأساسي في الفينومينولوجيا هو: ما معنى بنية وجوهر الخبرات المعاشة لدى فرد معين أو مجموعة من الأفراد عن الظاهرة قيد الدراسة ؟ ولهذا فلا عجب أن نرى أن أغلب الدراسات الفينومينولوجية تبدأ بكلمة ما هي. ومن أمثلة الأسئلة البحثية في الدراسات الفينومينولوجية التربوية ما يلي :

- ما خبرات الطلاب في استخدام أجهزة الكمبيوتر في التعلم ؟
- ما معنى مشاركة الطلاب في مشروعات التعلم التعاوني ؟

- مـــا تصـــورات معلمي ما قبل الخدمة عن تدريس العلوم بالاستقصاء ؟ وكيف تتغير هذه التصورات بعد البدء في التدريس ؟

وكمـــا هو المعتاد في أي بحث ، فإن الباحث يعتمد على بعض المصادر الأساســـية لـــتحديد مشـــكلة البحث من أهمها الخبرات الشخصية للباحث ومراجعة الدراسات السابقة. وعلى الرغم من أنه من المبادئ الأساسية في الفينومينولوجيا عدم استخدام الباحث لنموذج نظري لتحديد أسئلة البحث ، فـــإن الباحـــث يســـتفيد من مراجعة الدراسات السابقة في تحديد أن هناك ظاهرة ما لا يتوافر عنها الكثير من المعلومات وتحتاج للدراسة.

اختيار المشاركين :

يمكـــن تطبيق الطريقة الفينومينولوجية وما يرتبط بها من مداخل بحثـــية على حالات فردية أو على مجموعة مختارة بعناية من الأفراد. إلا أنـــه يفضل أن يتم إجراء الدراسة على مجموعة من الأفراد ، حيث يقوي ذلك الاستنتاجات التي يتوصل إليها الباحث من دراسته(**Lester , 1999**). ويعـــتمد اختيار المشاركين في الدراسات الفينومينولوجية بصورة أساسية على أسلوب المعاينة الهادفة (**Groenewald , 2004**). وهذا الأسلوب ليس مقصوراً على هذا النوع من الدراسات ، فهذه الطريقة أسلوب أساسي يتم الاســـتعانة به في جميع أنواع الدراسات الكيفية. ووفق هذه الطريقة يقوم الباحـــث باختـــيار عينة مقصودة وليس عينة عشوائية ، بحيث تكون هذه العيـــنة محققـــة للغرض الذي يسعى إليه الباحث وتتيح له الحصول على البيانات المهمة التي يحتاجها بدراسته.

وفـــي الـــبحوث الفينومينولوجية يكون تركيز الباحث منصبا على اختـــيار المشاركين القادرين على التعبير عن خبراتهم بحرية وبدقة ولهذا يـــرى الـــبعض أنـــه يجب استخدام لفظة " المشارك " "**participant**" أو"

شريك الباحث " "co-researcher" للتأكيد على الطبيعة التعاونية في إجراء البحث بين الباحث والمشاركين.

ووفقا لمبدأ المعاينة الهادفة في البحوث الفينومينولوجية يقترح " تاكانو" (Takano , 2002) مجموعة من المتطلبات أو العناصر التي يجب التركيز عليها عند اختيار المشاركين ومنها ما يلي :

- أن يكون لدى المشارك خبرات مع الظاهرة قيد الدراسة.
- أن يكون لدى المشارك المقدرة على تقديم وصف شامل للخبرة قيد الدراسة.
- الموافقة الطوعية من جانب المشاركين على تقديم خبراتهم.

وللوصـــول لمزيد من المشاركين يمكن أن يقوم الباحثين باستخدام أسلوب اختيار العينة التوسعية snowball- وهى طريقة تهدف لتوسيع العينة من خـــلال سؤال المشارك أن يوصى بآخرين لإجراء مقابلات معهم (Groenewald, 2004). وهـــذا الأســـلوب يتـــيح للباحث الوصول لأفراد أكثر ملاءمة لإجراء الدراسة عليهم.

جمع البيانات :

توجـــد مجموعـــة متـــنوعة مـــن طرق جمع البيانات التي يمكن اســـتخدامها في البحوث الفينومينولوجية وهي تشمل المقابلات والمحادثات والملاحظـــة بالمشاركة participant observation وبحث الأداء action research والاجتماعات المركزة focus meeting وتحليل الوثائق الخاصة بالمشاركين. (Lester , 1999) إلا أن الطريقة الأساسية لجمع البيانات في هذه النوعية من البحوث هي المقابلات الفردية (Marton , 1994) بجميع أنواعهـــا وبخاصة المقابلات المتعمقة in-depth interviews والمقابلات المفتوحة open – ended interviews. وغالبا ما تستخدم الطرق الأخرى لدعم البيانات المستمدة من المقابلات أو التحقق من صدقها.

ويـــرجع هذا التركيز على المقابلات إلى طبيعة هذه النوعية من البحوث والتـــي تركز على فهم معاني خبرات المشاركين واستخلاصها من وجهة نظـــرهم، ولهـــذا يكـــون هـــناك اهتمام كبير بالمقابلات وجها لوجه مع المشاركين للحصول على هذه المعلومات.

وهناك ثلاث مراحل لإجراء المقابلات في هذه البحوث(Takano, 2002)

1- يـــتم عمـــل اتصال مبدئي بين الباحث والمشاركين لإخبارهم بغرض الدراســـة وتكويـــن علاقة بحثية معهم. ويقوم الباحث بالحصول على موافقتهم على إجراء المقابلات والتسجيل الصوتي لهذه المقابلات.

2- يـــتم تنفـــيذ المقـــابلات فعلـــيا ويتم جمع البيانات ، ويفضل أن تكون المقابلات غير مقننة وأن تتضمن أسئلة مفتوحة تساعد المشاركين على التعبير عن خبراتهم بحرية.

3- يـــتم نسخ المقابلات كتابة ، ويتم إعطاء نسخ من المقابلات للمشارك بهدف التأكد من أن هذه المقابلات تعبر فعليا عن وجهة نظره.

وفي البحوث الفينومينولوجية يوجه الباحثون انتباهاً خاصاً لصياغة أســـئلة المقـــابلات ، حيث يكون هناك اهتمام بأن تتم صياغة هذه الأسئلة بطـــريقة تســـاعد المشاركين على تقديم وصف دقيق وواضح لخبراتهم ومعاني هذه الخبرات لديهم.

ونظـــرا لأن البحوث الفينومينولوجية لا تختبر فروضاً مسبقة بل تهـــدف لفهـــم الظاهرة من خلال الحديث مع المشاركين عن خبراتهم مع الظاهرة ، فلهذا يُطلب من المشاركين التركيز تماما على الوصف المجرد للخـــبرات ولـــيس تقديـــم أحكـــامهم عن الظاهرة. ومن ناحية أخرى فإن المقـــابلات الفينومينولوجـــية تهدف لفهم الموضوعات الأساسية central themes لخـــبرات المشـــاركين ولهـــذا فهـــي تكون موجهة بالموضوع وليست موجهة بالشخص (Takano , 2002) .

وثمة إجراء مهم يتم إتباعه عند تنفيذ المقابلات في البحوث الفينومينولوجية وهو [الإقصاء] **Bracketing** وهو إجراء للتعرف على تحيزات الباحث في فهم خبرات المشاركين يحدد فيه الباحث مجموعة من الافتراضات المسبقة لديه، ومن ثم يحاول الباحث أن يبعد هذه الافتراضات المسبقة عن وصفه لخبرات المشاركين (**Takano , 2002**). ويتضح لنا من الفقرتين السابقتين أن هناك نوعين من الإقصاء **bracketing** يتم اتباعهما عند إجراء المقابلات في البحوث الفينومينولوجية:

الأول يهدف لتناسى أوتجاهل المشاركين لأحكامهم الشخصية المتعلقة بالظاهرة محل الدراسة.

أما النوع **الثاني**: فيتضمن تناسي الباحث نفسه لخبراته وتصوراته القبلية المتعلقة بالظاهرة.

طرق تخزين البيانات:

من الخطوات التي تصاحب عملية جمع البيانات عملية تخزين هذه البيانات، وفيما يلي نركز على تخزين بيانات المقابلات. يتم تخزين البيانات الناجمة عن المقابلات بطرق أساسية منها : التسجيل الصوتي لهذه المقابلات والتسجيل من خلال " المذكرات الميدانية " **Field notes** (**Groenewald ,2004**). فغالبا ما يقوم الباحثون بالتسجيل الصوتي لكل المقابلات بعد استئذان المشاركين ويتم إعطاء كل مقابلة كود معين. فعلي سبيل المثال ، " المشارك C ،21 مايو 2002" ولو جرت أكثر من مقابلة في تاريخ محدد ، فيتم ترتيب المقابلات المختلفة بنظام أبجدي (المشارك B ، 18 يونيه 2002) ويتم تسجيل كل مقابلة على شريط مستقل.

وينصح الباحثون في هذا المجال بضرورة التأكد طوال الوقت من أن معدات التسجيل تعمل على نحو جيد ومن توفر بطاريات إضافية

وأشرطة وما إلى ذلك ولابد أن يكون موضع المقابلة خالياً من الضوضاء والمقاطعات بقدر الإمكان.

وتعد مذكرات الميدان Filed notes طريقة ثانوية لتخزين البيانات في البحث الكيفي ونظراً لميل العقل البشري للنسيان السريع ، فإن ملاحظات الميدان التي يطلع بها الباحث تعد أمراً جوهرياً في البحث الكيفي للحفاظ على البيانات المجمعة. ويتضمن ذلك أن الباحث لابد أن يلتزم بالتسجيل التالي لكل مقابلة بأكبر قدر ممكن من الشمولية لكن دون وضع أحكام تقويمية.

تحليل البيانات :

قبل البدء في عرض خطوات تحليل البيانات في البحوث الفينومينولوجية نتوقف أمام نقطة جديرة بالاهتمام أوردها " جرنويل " (Groenewald , 2004) وهي أن بعض الباحثين في مجال البحوث الفينومينولوجية يتجنبون استخدام مصطلح تحليل البيانات data analysis من حيث إن التحليل له متضمنات خطيرة في الفينومينولوجيا، فمصطلح تحليل عادة ما يعنى " التقسيم" إلى جزئيات" وبالتالي فإنه يعني فقدان الظاهرة الكلية في حين أن مصطلح تحديد معنى البيانات Explicitation يتضمن البحث والتحري في مكونات الظاهرة مع الاحتفاظ بالسياق الكلي.

وبالعودة لإجراءات تحليل البيانات [أوتحديد معنى البيانات] نجد انه لا يمكن القول بوجود طريقة واحدة لتحليل البيانات في البحوث الفينومينولوجية. ويتوقف اختيار الباحث لطرق تحليل البيانات على طبيعة المشاركين فتحليل البيانات في دراسة تتضمن مشارك واحد يختلف عن تحليل البيانات في دراسة تتضمن مجموعة من الأفراد. وكذلك فإن تحليل بيانات المقابلات تختلف عن طرق تحليل الوثائق والملاحظة.

ونظرا لأن المقابلة هي الأداة الأساسية في البحوث الفينومينولوجية فسوف نحاول التركيز في الجزء التالي على أهم خطوات تحليل بيانات المقابلة.

يرى " تاكانو" (**Takano , 2002**) أن خطوات تحليل البيانات في البحوث الفينومينولوجية تنطوي على ما يلي :

1- يقرأ الباحث نسخ المقابلات من أجل فهم خبرات المشاركين من خلالها، وهذه العملية تسعى لوصف البحث لما يفكر فيه المشاركين من خلال المعاني التي يستخلصها الباحث من اللغة المكتوبة.

2- يراجع الباحث نسخ المقابلات لاستخراج العبارات والجمل المرتبطة بالظاهرة قيد الدراسة. والهدف من هذه الخطوة استخلاص وحدات المعنى **meaning units** من بين هذه الجمل.

3- يتم تحويل وحدات المعنى إلى لغة الباحث ، ويتم استخراج الموضوعات الأساسية لخبرات المشاركين من بين الجمل والعبارات ووحدات المعنى التيْ تم تحويلها إلى لغة الباحث.

4- تنظم هذه المعاني في مجموعات (عناقيد) من الموضوعات المرتبطة، وبعد ذلك يقوم الباحث بمقارنة عناقيد (مجموعات) الموضوعات ، ويتم تحديد الموضوعات المحورية والفئات التي تندرج تحتها.

5- يتم تنظيم جميع النتائج في صورة وصف شامل.

6- الخطوة الأخيرة تتمثل في اختبار مدى صدق التفسيرات.

أما " جرنويل " (**Groenewald ,2004**) فهويرى أن تحليل المقابلات في الفينومينولوجيا تتضمن مجموعة الخطوات التالية :

1- الإقصاء والاختزال الظواهري.

2- تحديد وحدات المعني.

3- جمع وحدات المعني لتشكيل موضوعات.

4- تلخيص كل مقابلة، والتحقق من مصداقية بياناتها.

5- استخلاص الموضوعات العامة من كل المقابلات وعمل ملخص واضح.

1. الإقصاء والاختزال الظواهري :

ينظر البعض لمصطلح الاختزال reduction الذي وضعه " هرسل " على أنه في غير محله لأنه لا علاقة بالطريقة المنهجية العلمية الطبيعية (الاختزالية). فقد يحدث خطأ كبير في الظواهر البشرية عبر الإفراط في التحليل والانعزال عن السياق المعاش للظواهر. كما قد يؤدي اختزال الظاهرة لمجرد سبب ونتيجة أما الاختزال الظواهراتي " للذاتية البحتية) فهو بمثابة بداية معقولة وهادفة من جانب الباحث للظاهرة " في جانبها الصحيح وبمعناها الخاص".

أما عن المصطلح الآخر وهو الإقصاء **bracketing** فالمعني به إقصاء التصورات القبلية للباحث وعدم السماح لمعاينة تفسيراته أو مفهوماته النظرية أن تتدخل في العالم الفريد للمشارك وهو بذلك يتخلف عن الإقصاء الوارد الحديث عنه في المقابلات والذي يعني إقصاء المشاركين لرؤيتهم وافتراضاتهم المسبقة عن الظاهرة.

ويوصي البعض بضرورة استماع الباحث مراراً وتكراراً للتسجيلات الصوتية لكل مقابلة حتى يتسنى له الإلمام بكلمات المشاركين حتى يستطيع تكوين صورة شاملة.

2. تحديد وحدات المعني:

وهى مرحلة مهمة في توضيح البيانات ، حيث يتم فيها استخلاص أو عزل العبارات والجمل التي يفترض أنها تعمل على توضيح الظاهرة

قيد الدراسة. فالباحث منوط به وضع كم هائل من الأحكام في أثناء إقصائه الواعي لافتراضاته القبلية حتى يتجنب الأحكام الذاتية غير المناسبة.

ويتم الفحص الشامل لقائمة الوحدات ذات المعني التي تم استخلاصها من كل مقابلة وللقيام بذلك، ينظر الباحث للمحتوي الحرفي وعدد مرات تكرار ذكر المعني وكيفية تحديده في كل مرة (اللغة الحية غير اللفظية) فالمعني الفعلي لوحدتين يبدو عليهما التشابه حتى يختلفا في وزنهما أوفي تواتر الأحداث.

3- جمع وحدات المعني لتشكيل الموضوعات :

في ظل وجود قائمة من وحدات المعنى في يد الباحث لابد له أن يقوم مرة أخرى بإقصاء فرضياته المسبقة حتى يبقى متوحداً مع الظاهرة. ومن خلال الفحص الصارم لقائمة وحدات المعني، يحاول الباحث انتقاء مضمون وخلاصة معني الوحدات في ظل السياق الكلي ، وهذا يتطلب المزيد من الحكم والمهارة من جانب الباحث.

ويتم تكوين تجميعات الموضوعات بالشكل النموذجي من خلال تجميع وحدات المعني معاً ويقوم الباحث بتحديد الموضوعات الجوهرية والوحدات المهمة. ويؤكد كل الباحثين على أهمية رجوع الباحث للمقابلات المسجلة والاضطلاع بقائمة وحدات المعنى التي تم استخلاصها بهدف الوصول لمجموعات ذات معني مناسب. ومن خلال استخلاص معني المجموعات المختلفة يتم تحديد الموضوعات الأساسية" التي تعبر عن مضمون هذه المجموعات" .

4. تلخيص كل مقابلة والتحقق من صدق بياناتها وتعديلها:

أياً كانت الطريقة المستخدمة في التحليل الظواهري ، فإن هدف الباحث هو إعادة بناء العالم الداخلي لخبرة الفرد. ويفحص الباحث عند هذه النقطة" بفحص المصداقية" وذلك بالعودة للمشارك لتحديد ما إذا كان

مضـــمون المقابلة يعبر فعليا عن خبرة المشارك وأنه قد تم تحديده بشكل صحيح وبالتالي يتم إجراء تعديلات نتيجة لفحص المصداقية.

5- استخلاص الموضوعات العامة والمتفردة من كل المقابلات وعمل ملخص واضح

بمجرد القيام بالخطوات الأربعة السابقة، يقوم الباحث بالبحث عن الموضـــوعات المشتركة في كل المقابلات وكذلك الجوانب الفريدة في هذه المقابلات. ويجب أن يأخذ الباحث حذره عند تحديد الموضوعات المشتركة إذا وجـــد فـــروقاً واضـــحة بين المقابلات (أو بين المشاركين). ويتوصل الباحـــث في النهاية إلى كتابة ملخص واضح لابد أن يعكس السياق الذي تظهر من خلاله الموضوعات. والباحث عند هذه النقطة يعمل على ترجمة تعبيرات المشاركين إلى لغة مناسبة للخطاب العلمي المدعم للبحث.

عرض نتائج الدراسة وكتابة تقرير الدراسة:

يعـــرض الباحـــث نتائج الدراسة في جزء خاص بالنتائج ويكون جـــزءاً منفصـــلاً عـــن مناقشة النتائج ومضامين النتائج، ويفضل أن يقوم الباحث بعرض ملخص لنتائج الدراسة. ويعرض النتائج وفقا للموضوعات والقضايا الأساسية التي أظهرتها المقابلات مع المشاركين.

ويتضـــمن تقريـــر الدراســـة في البحوث الفينومينولوجية توصيفاً مفصـــلاً لخبرات المشاركين ويركز الباحث بوجه خاص على جوهر هذه الخـــبرات والأشـــياء المشـــتركة بين المشاركين ويستعين الباحث في هذا الجزء باقتباسات من نصوص المقابلات لتدعيم تفسيراته.

أمـــا فـــي الجزء الخاص بالمناقشة فيقدم الباحث تفسيرات للنتائج ويـــربط بيـــن نـــتائج الدراسة الحالية ونتائج الدراسات السابقة وبالخبرة الشخصية له (**Bradford , 1998**).

قضايا الصدق والثبات في البحوث الفينومينولوجية :

في البحوث الفينومينولوجية يتم استخدام معاني الصدق والثبات بمعاني تختلف عن المعاني التي نجدها في البحث الكمي. فوفقا لمبادئ البحث الفينومينولوجي يعد البحث صادقا ، عندما تمكن البيانات الوصفية التي يهدف الباحث إلى الوصول إليها من فهم معنى وجوهر الظاهرة. ومن وجهة نظر الفينومينولوجيا يتم استخدام معيار التماسك **coherence criterion** كأحد معايير الصدق، وهو يعني: وحدة العبارة واتساقها والمنطقية الداخلية لها. ويرى البعض الصدق في هذه النوعية من البحوث على أنه مهارة الصنع في البحث **craftsmanship in research**.

ويقدم " تاكانو" (**Takano , 2002**) مجموعة من الإجراءات التي يمكن أن يستخدمها الباحث الذي يقوم بإجراء دراسة فينومينولوجية لكي يثبت صدق بحثه وهي:

1- أن يقوم الباحث بتحديد تصوراته وافتراضاته المسبقة عن الظاهرة ويعبر عنها بصورة صريحة ويقوم بوصفها بتمكن خلال تحليل البيانات ويحدد كيف تلافي هذه التصورات في سياق دراسته.

2- اختبار الباحث تفسيراته للبيانات من خلال الحوار مع المشاركين في البحث.

3- أن يراجع الباحث تفسيراته للبيانات الفينومينولوجية من خلال المناقشة مع أعضاء المجتمع البحثي [الباحثين الزملاء].

4- اختبار الباحث تفسيراته للبيانات من خلال الحوار مع بعض الأفراد الذين عايشوا الظاهرة لكن لم يشاركوا في البحث.

أما بخصوص الثبات في البحوث الفينومينولوجية فهويعني تقدير لمدى الاتساق في قياس الظاهرة محل الدراسة. ولتقدير الثبات أهمية كبيرة في هذه النوعية من الدراسات حيث تعتمد هذه الدراسات على تحديد معنى

الاستجابات، والمعنى دائما ما يكون مطموراً في السياق وتحديده عملية نسبية تختلف من فرد لآخر. ويمكن تحقيق الثبات من خلال توفير تفسيرات وتوضيحات متعددة للمعنى يقوم بها أفراد غير الباحث.

وبالإضافة لذلك، هناك مجموعة من الأسئلة التي يجيب عنها الباحث حتى يمكن تحديد مدى ثبات الدراسة وتشمل وضوح وتطابق أسئلة البحث والتصميم ووضوح دور الباحث ووجود اتفاق بين مصادر البيانات وملاءمة أدوات جمع البيانات وجودة الحفاظ على البيانات ودقة إجراءات الملاحظة والمقابلة (Takano , 2002).

أمثلة تحليلية نقدية لدراسات فينومينولوجية

تحليل الدراسة الأولى

التغيرات في تصورات وممارسات معلمي العلوم المستقبليين (الطلاب المعلمين) أثناء الخبرات الميدانية

Changes in Prospective Science Teachers' Conceptions and Practices During Field Experiences

منبع المشكلة :

أوضح الباحث في تقديمه للمشكلة البحثية لهذه الدراسة مصادر إحساسه بمشكلة البحث: والتي تمثلت فيما يلي :

1- أن عديد من البحوث في مجال تعليم العلوم تدعم فكرة النظر للتعلم على انه تغير مفهوماتي conceptual change.

2- أن إعداد معلمي العلوم المستقبليين القادرين على تنفيذ الرؤى المعاصرة لتعليم العلوم يمثل تحديا للقائمين على إعداد المعلمين الذين تقع على عاتقهم مسئولية مساعدة معلمي العلوم المنتظرين على تطوير المعرفة والمهارات والاتجاهات التي تتلاءم مع

التغيير. ومع ذلك دائما ما تفشل برامج إعداد المعلمين في تحقيق هذه الأهداف

3- يُعتقد أن الخبرات الميدانية في المدارس تشكل معتقدات المعلمين عن التدريس وفهمهم له، ومن ثم يكون من الضروري دراسة عملية التعلم التي تحدث في الميدان إذا أردنا فهم تصورات المعلمين المتغيرة عن تدريس العلوم وفهم كيفية ارتباط هذه التصورات بالممارسة.

4- توضح الأدبيات في مجال إعداد المعلم أنه على الرغم من الاهتمام الكبير بالخبرات الميدانية، لا يزال هناك جدال عن الدور الذي تلعبه هذه الخبرات بخصوص عدد من القضايا.

مشكلة الدراسة والأسئلة البحثية :

بناء على التمهيد السابق، أوضح الباحث أن الدراسة الحالية هي عبارة عن دراسة حالة عن خبرة التدريس لدى الطلاب المعلمين في مادة العلوم، حيث تتناولت الدراسة كيف تأثرت تصورات الطلاب المعلمين عن تعليم العلوم بخبرات العمل الميداني مع المتعلمين والمعلمين المتعاونين ومشرفي الكلية. وفيما يلي ذكر للأسئلة التي وجهت الباحث في الدراسة الحالية :

1- ما تصورات المشاركين عن تدريس العلوم ؟

2- كيف تغيرت هذه التصورات مع انتقال المشاركين من مرحلة ما قبل التدريس للطلاب إلى مرحلة التدريس للطلاب ؟

3- ما دور خبرات ما قبل التدريس للطلاب وخبرات مرحلة التدريس في بناء هذه التصورات، من وجهة نظر المشاركين ؟

4- كيف تعيق أو تدعم خبرات ما قبل التدريس للطلاب وخبرات مرحلة التدريس نمو التغير المفهوماتي لدى الطلاب ؟

أهمية الدراسة :

أوضح الباحث أهمية إجراء الدراسة الحالية فيما يلي:

1- إن العلاقة بين معتقدات المعلمين وممارساتهم تتسم بالتعقيد ولا يمكن فهمها في الوقت الحالي بشكل كامل. ولكي يمكن فهم هذه العلاقة جيدا إذ توجد حاجة ماسة لتوصيف ثري للخبرات الميدانية لدى الطلاب المعلمين ، وأدوات هذا الوصف الثري متوفرة في المنهج الذي سوف تستعين به الدراسة.

2- أن معتقدات المعلمين تؤثر على تصوراتهم وأحكامهم والتي تؤثر بدورها على الممارسات الصفية.

3- يرى الباحث أن تأمل المعلمين المشاركين بالدراسة في معتقداتهم وخبراتهم يمكن ان يؤدي إلى إعادة صياغة للمعتقدات السابقة.

الأسس النظرية ومراجعة الأدبيات :

ذكر الباحث أن هذه الدراسة ترتكز على اثنين من الأسس النظرية يتمثلان في نظرية التعلم البنائي ومدخل الاستقصاء الفينومينولوجي. حيث قرر الباحث أن هذه الدراسة مرتكزة على الرؤية البنائية للتعلم **constructivist view of learning** والتي ترى أن الأفراد يقومون ببناء معرفتهم بناء على تفسيراتهم لخبراتهم وتفاعلاتهم. ويدل على هذا الافتراض النظري على أن الطلاب المعلمين لديهم تصورات ومعتقدات شخصية ومتفردة عن تعليم العلوم وتعلمه، وتلعب هذه التصورات والمعتقدات أدواراً مهمة في قراراتهم وممارساتهم الصفية.

واتساقا مع هذا الافتراض تم استخدام مبادئ الفينومينولوجيا كإطار نظري **theoretical framework** للدراسة الحالية. فالمدخل الفينومينولوجي في البحث يدرس تصورات الأفراد ويقدم أمثلة مادية عن

خـــبراتهم والمعاني التي يقومون بتكوينها ووفقا لهذا المدخل ، يطرح من يقـــوم بالبحـــث تساؤل مؤاده "ما بنية وجوهر ظاهرة معينة لدى مجموعة معينة من الناس ؟ ويتم استخدام أفكار ومشاعر وتصورات الأفراد لوصف خـــبراتهم مـــع الظاهـــرة وفهمهـــا. فالدراسة الفينومينولوجية تركز على توصـــيفات الأفـــراد وبـــناءهم لخـــبراتهم لفهم الواقع. ومن الافتراضات الأساسية لهذا المدخل :

1- أن واقـــع كـــل فـــرد هو نتيجة تفسير الفرد للأحداث ومعاني تلك الأحداث بالنسبة له.

2- هناك عناصر مشتركة بين خبرات الأفراد بناء على هذا يكون دور الباحث :

أ- محاولة فهم معاني الأحداث من وجهة نظر المشاركين

ب- الســـعي لاكتشاف جوهر الظاهرة المشترك لدى مجموعة من الأفراد عن طريق تحديد الأشياء المشتركة في خبرات هؤلاء الأفراد.

التصميم البحثي للدراسة :

بناء على طبيعة الأسئلة البحثية للدراسة والإطار النظري لها ، تم تنفيذ الدراسة بناء على تصميم دراسة الحالة التفسيرية **interpretive case study design**.

المشاركين :

شارك بالدراسة اثنتين من الطالبات المعلمات تخصص تدريس علوم.

جمع البيانات :

تمثلت المصادر الأولية للبيانات في النسخ الحرفية لمجموعة من المقابلات شـــبه مقننة والمقابلات الرسمية مع المشاركين ، بلغ إجمالي عددها سبع مقابلات. وتم استخدام ملاحظات الميدان **field notes** الناجمة عن ثمانية

مـــن عمليـــات الملاحظة في الفصل إضافة إلى بعض الوثائق مثل خطط الدروس كبيانات مدعمة. وقد تم جمع البيانات على مدار 25 أسبوع خلال عامـــي 1995 ، 1996 مـــع تقـــدم الطلاب المعلمين من مرحلة ما قبل التدريس إلى مرحلة التدريس الميداني.

ولتســـهيل المناقشة وتوجيهها (أثناء المقابلات) تم استخدام استبانة وبـــرتوكول للمقابلة في أول مقابلتين. حيث أجاب المشاركين عن استبانة اســـمه " تمريـــن عـــن الـــتدريس " أثناء المقابلة الأولى ، حيث كان لهذا الاســـتبيان أهمـــية لتحديد التصورات المبدئية لدى المشاركين عن تدريس العلـــوم. وكانـــت المقابلـــة الثانية قائمة على برتوكول للمقابلة بعنوان " تصورات عن تدريس العلوم " **conceptions of teaching science** يتكون مـــن سلســـلة من 10 عبارات مكتوبة تتضمن أمثلة جيدة وأمثلة سيئة عن تعلـــيم وتعلـــم العلـــوم وتوجد تفريعات لهذه الأمثلة في مواد علم الأحياء والكيمياء والفيزياء.

وقد كانت المقابلات اللاحقة أقل تخطيطا وأكثر اشتمالا على أسئلة غير مقيدة حول الأحداث التي وقعت في الفصل أثناء الملاحظات الصفية وحـــول محـــتويات الوثائق وحول وجهات نظر المشاركين عن الخبرات الميدانية وتصوراتهم عن تدريس العلوم.

وقد تم بناء هذه المقابلات اللاحقة على المقابلات السابقة وذلك لأن الدراسة هدفت إلى تقصي التغيرات في تفكير الطلاب والعمليات المتضمنة في هذه التغيرات.

تحليل البيانات :

تساقا مع نوعية البيانات التي تتولد عن دراسات الحالة التفسيرية ، كانـــت الطـــريقة الأساســـية لتحليل البيانات في هذه الدراسة هي التحليل

الاستقرائي **inductive analysis** وذلك وفق مستويين من التحليل : في المستوى الأول تم تحليل البيانات الخاصة بكل مشارك من المشاركين. وفي المستوى الثاني تم تحليل الأشياء المشتركة بين المشاركين وقد كانت عملية التحليل بمثابة فحص متكرر للبيانات من أجل اكتشاف الأنماط والموضوعات البارزة المرتبطة بكل سؤال بحثي. وقد تم عمل نظام توصيف منفصل **separate coding system** لكل مشارك. ولأن البحث كان مهتما بدور الخبرات الميدانية في تطوير تصورات الطلاب المعلمين فقد ظهرت الفئات والموضوعات المعبرة عن استجابات من البيانات عن طريق عملية التحليل الاستقرائي.

تحليل الدراسة الثانية

معنى المشاركة في التدريب على التكنولوجيا

MEANING OF PARTICIPATING IN TECHNOLOGY TRAINING: A PHENOMENOLOGY

مشكلة البحث

تم تنفيذ هذه الدراسة الفينومينولوجية في محاولة لفهم معنى خبرة أن يكون المعلم مشاركا في التدريب على التكنولوجيا وذلك من وجهة نظر ثلاثة من المعلمين الذين مروا بهذه الخبرة. وبناء على هذا الهدف تم صياغة التساؤل التالي لكي يكون موجها لهذه الدراسة

[ما معنى خبرة المشاركة في التدريب على التكنولوجيا؟]. ومن الواضح أن المكونات الأساسية لهذا التساؤل هي ما، معنى، الخبرة، المشاركة. واستخدام كلمة ما يوضح أن هناك نقصاً في المعلومات المتاحة عن هذه الظاهرة. وكلمة المعنى تشير إلى الطرق الفردية لفهم الخبرة والمعرفة.

والكلمة " خبرة " توضح أن هناك حدث يحفز تطوير المعنى، وكلمة "المشاركة" توضح أن المبحوثين متواجدين جسديا في الحدث.

أهمية الدراسة والحاجة إليها :

تعد هذه الدراسة ذات أهمية لفهم عمليتي التعليم والتعلم ، ذلك لأن المعلمين لديهم معتقدات عن التكنولوجيا وعن تعلمهم الخاص وهذه المعتقدات تؤثر على كيفية تفاعلهم مع التكنولوجيات التعليمية الجديدة. وهناك قلة في البحوث التي تتناول قيم ومعتقدات واتجاهات المعلمين عن التكنولوجيا والتي تمثل محور اهتمام المعلمين عند مشاركتهم في التدريب على التكنولوجيا.

مراجعة الأدبيات :

قدم الباحث في عجالة مراجعة للأدبيات التي تتعلق بالتأثيرات السلبية لمعتقدات المعلمين واتجاهاتهم على استخدامهم للتكنولوجيا وعلى خوفهم منها. كما تناول دور المعتقدات في الممارسات التعليمية للمعلمين وبخاصة ما يتعلق منها بالإعداد المهني. كما تناول فاعلية الذات في علاقتها بمعتقدات المعلمين.

الإطار المفاهيمي والمنهجية :

أوضح الباحث أن الفينومينولوجيا (علم دراسة الظواهر) تشكل الإطار المفهوماتي للدراسة الحالية ، وأوضح أن الفينومينولوجيا هي عبارة عن تصميم بحثي يستخدم لدراسة الخبرة البشرية العميقة وليس لتكوين نظرية جديدة. ويقوم باختصار التوصيفات الكثيفة للخبرة البشرية إلى موضوعات عامة مشتركة. وقد أوضح الباحث انه بناء على الإطار المفهوماتي فإن الفينومينولوجيا هي المنهجية المستخدمة في الدراسة الحالية ، وقام بوصف الإجراءات المنهجية لهذا التصميم البحثي.

اختيار المشاركين :

اختيرت العينة (المشاركين) في هذه الدراسة إعتماداً على المعايير **criterion based** ومن المعايير التي وضعت لاختيار المشاركين في الدراسة ما يلي:

- أن يكون المشارك قد التحق بأحد برامج تدريس أساسيات القراءة والكتابة للكبار.
- أن يكون قد شارك حديثا في أحد برامج التدريب على التكنولوجيا.
- أن يكون لديه استعداد للمشاركة بالدراسة وان يكون متواجدا بعد ذلك بهدف توجيه أسئلة توضيحية له.
- أن يوافق على تسجيل المقابلات معه ثم نشر البيانات بعد ذلك.

وبناء على هذه المعايير تم اختيار ثلاثة من المعلمين الذين مروا حديثا بخبرة التدريب على التكنولوجيا لكي يشاركوا في هذه الدراسة.

جمع وتحليل البيانات :

تم عمل مقابلات مطولة مع المعلمين الثلاثة ، تناولت المقابلات موضوعات تتعلق بطبيعة خبرة المعلمين في برنامج تعليم التكنولوجيا. وللتأكيد على سرية البيانات التي تم جمعها من المعلمين تم تغيير الأسماء الحقيقية للمعلمين في نسخ المقابلات بعد ذلك.

أما تحليل البيانات فقد اتخذ الإجراءات التالية :

1- تم مراجعة جميع المحادثات التي أجريت مع المبحوثين مع الأخذ في الاعتبار تساوي أهمية جميع التعليقات التي أبداها المفحوصين. وقد تم تحديد موضوعات موحدة من بين المحادثات لكي يتم توضيحها.

2- تم عمل ما يعرف بـ " اختزال الظاهرة " من خلال التركيز على تقليص التوصيفات المكثفة وتحديد موضوعات مشتركة أو عامة.
3- كتابة وصف نصي فردي لكل مشارك من المشاركين.
4- تم تحديد الموضوعات المشتركة بين الثلاثة مبحوثين والتي كانت عبارة عن سبع موضوعات أساسية وهي : المشاعر المتعلقة بالذات والآخرين والمشاعر المرتبطة بالخبرة والوقت والمدرب وورشة العمل والانتقال إلى العمل.
5- كتابة الوصف المختصر لخبرات المشاركين.

تقييم البحوث الفينومينولوجية

وفيما يلي عرض لمعايير تقييم الدراسات الفينومولوجية

جدول (7-2) قائمة فحص لتقييم الدراسات الفينومينولوجية

المعيـــــار	تم تطبيقه بصورة مثالية	تم تطبيقه بصورة مقبولة	لم يطبقه الباحث	لا ينطبق على الدراسة	تعليقات
مشكلة البحث - توضيح مشكلة البحث للظاهرة محل الدراسة وللخبرات التي تركز عليها بصورة دقيقة. - تحرر الباحث من الفرضيات المسبقة عن الظاهرة قيد الدراسة. - توضيح الباحث للتساؤل الأساسي للدراسة والأسئلة الفرعية. - تناسب صياغة الأسئلة مع المدخل الفينومينولوجي.					

تصميم البحث : - قيام الباحث بتحديد أسباب استخدام تصميم البحوث الفينومينولوجية، ومدى معقولية هذه الأسباب. - توافق الموقف الابستمولوجي للباحث مع الموقف الابستمولوجي للفينومينولوجيا.					
اختيار المشاركين : - استخدام الباحث طريقة مناسبة لاختيار المشاركين (مثل طريقة المعاينة الهادفة). - وضوح مبررات اختيار الباحث لأفراد العينة. - تقديم دليل على أن المشاركين لديهم خبرات كافية بالظاهرة قيد الدراسة وان لديهم المقدرة على تقديم توصيفات شاملة للظاهرة قيد الدراسة. - أن يكون حجم العينة مناسبا [يتراوح من فردين إلى خمسة عشر فردا].					
جمع البيانات : - أن يذكر الباحث أهم الأسئلة التي دارت حولها المقابلات. - أن يساعد تصميم المقابلات والأسئلة التي تتضمنها المشاركين على التعبير عن خبراتهم بدقة وبصورة مفصلة. - أن تسعى المقابلات للتعرف إلى الموضوعات الأساسية لخبرات ومشاعر ومعتقدات المشاركين. - استخدام الباحث أدوات أخرى لجمع البيانات لتدعيم بيانات المقابلات					

- تنوع الأفراد الذين أجريت معهم المقابلات.					
تحليل البيانات : - إتباع الباحث خطوات تحليل بيانات المقابلات في البحوث الفينومينولوجية بدءا من اختزال الظاهرة وتحديد وحدات المعني وتشكيل الموضوعات وتلخيص المقابلات والوصول للموضوعات العامة. - توضيح إجراءات تحليل البيانات الغير ناجمة عن المقابلة. - استخدام الباحث لطريقة استقرائية في تحليل البيانات. - استمرارية عملية جمع البيانات واتسامها بالمرونة.					
النواحي الأخلاقية : - أن يأخذ الباحث موافقة المشاركين وأن يخبرهم بغرض الدراسة - أن يستخدم الباحث أسماء مستعارة للتعبير عن المشاركين. - أن تظل البيانات المتجمعة من المقابلات [وغيرها من الأدوات] محل سرية.					
قضايا الصدق والثبات : - مراجعة المفحوصين لنسخ المقابلات من أجل التأكد من أنها تعكس وجهات نظرهم بالشكل السليم. - التأكد من صدق بيانات المقابلات من خلال أدوات أخرى لجمع البيانات. - تحديد الباحث لتصوراته وافتراضاته المسبقة عن الظاهرة والتعبير					

عنها بصورة صريحة. - اختبار الباحث تفسيراته للبيانات من خلال الحوار مع المشاركين في البحث. - قيام الباحث بمراجعة تفسيراته للبيانات الفينومينولوجية من خلال المناقشة مع أعضاء المجتمع البحثي. - اختبار الباحث تفسيراته للبيانات من خلال الحوار مع بعض الأفراد الذين عايشوا الظاهرة لكن لم يشاركوا في البحث. - توفير تفسيرات وتوضيحات متعددة للمعنى يقوم بها أفراد غير الباحث. - مدى وضوح وتطابق أسئلة البحث والتصميم. - مدى وضوح دور الباحث ووجود اتفاق بين مصادر البيانات وملاءمة أدوات جمع البيانات. - جودة الحفاظ على البيانات. - دقة إجراءات الملاحظة والمقابلة.					
عرض النتائج: - هل تعكس النتائج خبرات ومعتقدات واتجاهات المشاركين عن الظاهرة محور التركيز بالفعل. - استخدام العبارات الحقيقية للمشاركين في المقابلات كدليل على استنتاجات الباحث. - تركيز الباحث عند عرضه للبيانات على العناصر المشتركة بين المفحوصين - عرض الباحث لأهم الموضوعات التي ظهرت في البيانات.					